



## عن الرجال والبنادق

مجموعة قصص لفسان كنفاني

منشورات دار الآداب - بيروت

الأستاذ غسان كنفاني صحفي تشغله مشاكل الأدب والصحافة وما يدخل منها في إطار القضية الفلسطينية . ويستأثر أدب المقاومة باهتمامه الأكبر ، وقد واكب أعمال المقاومة الإبداعية من ناحية المضمون السياسي والاجتماعي . أنه يقول في بحث أبعاد ومواقف في أدب المقاومة الفلسطيني « أن أدب المقاومة في فلسطين المحتلة قد ربط ربطاً محكماً بين المسألة الاجتماعية والمسألة السياسية واعتبرهما صيغة لا بد من تلاحمها لتقوم بهمة المقاومة . »

أما أعماله الإبداعية فتتركز في القصة القصيرة ، فقد أثرى المكتبة العربية بمجموعة منها كان آخرها « عن الرجال والبنادق » الذي نتعرض له الآن .

مدخل هذه المجموعة عبارة عن قصة قصيرة تدور بين الماضي والحاضر ولا تستشف المستقبل ، لذلك ينهي كل مقطع منها بعبارة « ولكن ذلك كله خارج عن الموضوع »

أما القصة التي تحمل الأرقام ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ فاعتقد أنها قصة سقوط الجليل المعلن عنها في نهاية كتابه السابق « ما تبقى لكم » وهي تحكي قصة دفاع فلاح فلسطيني عن أرضه ، ولهذا الفلاح ولدان أولهما الدكتور قاسم فهو من عداد الأموات لبعده عن الأرض ، ونستطيع أن نتبين ذلك من جهله بالأمور عندما يخاطب والده .

« الحمار حمار ولو بين الخيول ربي » دائماً نقول لي ذلك حين أقول لك أنني سأصير طبيباً . الأمر يختلف الآن الحميم والخيول ستبقي في مجد الكروم ومحسوك سيفتح عيادة في حيفا »

وعندما يخبره والده عن الصغير « الصغير يحب الحقول حين يعود من المدرسة يعوض في الساقية إلى ركبتيه ، أن له يدي فلاح حقيقي » إذ ذاك يرد على والده وبجهله الذي يؤكده والده دائماً « انتم تقتلون هذا الولد .. تقتلونه والله العظيم ، غدا سأخذه معي إلى حيفا وسيعرف كيف يصنع مستقبله كما يشاء »

وفجأة استدار أبو قاسم وامسك ابنه من زنده بقوة - انظر إلى اليهود حين يجيء الواحد منهم يتصرف إلى العمل في القرية ، لماذا لا تفتح عيادتك في مجد الكروم ؟ . ولكن الفرصة قد فاتت ، فقاسم غارق مع اليهوديات إلى اذنيه ونسي أو تناسى الأرض لبعده عنها .

أما أبو قاسم فهو رمز الإصرار والصمود للفلاح الفلسطيني وتشبثه بالأرض .. « وأخيراً انتفضوا الشجرة الرجل والمرتينه ومن وراء عيش المطر الغاضب ودموعه خيل لمنصور أنهم ليسوا جميعاً سوى جثة واحدة » أن موت أبو قاسم ليذكرني بموت روبرتو في رواية « لمن يقرع الجرس » حيث يتخيل روبرتو حبيبته في أحلام فوق الأيدي أما منصور فهو صورة مصغرة لوالده ..

أما القصة القصيرة رقم ٦ فهي وصف لما كابده اللاجئون بعد النكبة وهي قصة واقعية صرف وقد عشناها في أحد كومسيونات الخفار بالقطاع .

أما القصة رقم (٧) فهي قصة عادية حيث يتفق الجميع على أن مفتاح دار جابر يشبه الفأس ثم ينسون هذه الحقيقة عندما يضعف ارتباطهم بالأرض وعندما يكبر الصغير يعتقد أنه فأس . وفي القصة رقم (٩) يذكرنا انتقال الكاتب بين النداعي والحوار

بانتقال كاتب السيناريو بين المناظر والحوار السينمائي . أما القصة رقم (٨) فهي تشبه حوار مسرحية من اللامعقول ، وذلك لفقد حاسة السمع عند حامد في بعض مقاطعها .  
- انفجرت كلها مثل علبة نقيب .  
- أكنت تشك بغاعلية سلاحك ؟  
- كالورق أخذت تحترق .  
وهذا دليل قاطع على عدم جدوى الحوار في هذه الحالة . وفي حالات كثيرة يجيد الكاتب استخدام الحوار الميتافيزيقي - والان كف عن تحميله أخطاءك  
- تحميل من يا سيدي ؟

- الله

وبعدها ينتقل الكاتب باقتدار إلى المنظر الآخر والحوار الآخر حيث يتكلم الجندي الإسرائيلي « وكان الجندي ما زال يكرر نصف ضاحك

- أنت خلقتك الله هكذا

يقول الأستاذ غسان عن هذا الكتاب « هذه تسع لوحات اردت منها أن أرسم الأفق الذي أشرق فيه الرجال والبنادق والذين معا سيرسمون اللوحة الناقصة في هذه المجموعة »

أما اللوحة الناقصة فهي قول أم سعد « خيمة عن خيمة . تفرق » وهي تقصد خيام اللاجئين تفرق عن خيام الفدائيين وهذا ما نامله وأن كان الكثير منه قد حصل .

وعموماً فالأستاذ غسان فنان يعبر بالكلمات عن طبيعة الإنسان الفلسطيني ، فنان يحارب الاغتراب ويفرض الوجود خوفاً من العدم . أما شخصيات قصصه فهي غاضبة ورائحة القنابل والبارود تفوح من جنباتهم ، فهم طيبون وأقوياء كما طبيعة أرضنا ، وأدبه أدب ثوري يرد الاعتبار للشعب الذي فقد أرضه ولم يفقد الأمل في استرداد السعادة والتي ستتحقق لديه بالرجوع للأرض فقط .  
أما معينه الزمني فمتجدد وفي امكنة مختلفة تتأرجح بين الوطن الأصلي فالقرية فالعودة للوطن ..

وعلى العموم فهذا من بواكير أدب المقاومة القصصي والذي يحتل غسان فيه مكانة بارزة ونأمل أن يوافينا بأبداع جديد يفوق رائعته « ما تبقى لكم » .

محمد عبدالرزاق

القاهرة

# عاشق من فلسطين

لشاعر المقاومة  
في الأرض المحتلة

محمود درويش

٢٥٠ ق . ل

صدر حديثاً